مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 02 السنة 2022 ص 566 - 585

تاريخ الإرسال: 2021/11/30 تاريخ القبول: 2022/01/03
تاريخ النشر: 2022/04/24

الإسهامات الجزائرية الحديثة في علم العروض العربي قراءة في منهج كتاب (المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي) للعلامة موسى الأحمدي نويوات

Modern Algerian Contribution to the Prosody of the Arabic Language. A Study into the Methodology of " almutawassit al-Kafi fi 3ilmai al-3arudh wa al-Kawafi" by Scholar Mussa al-Ahmadi Nwiwat

نادية كتاف[1]
جامعة جيجل (الجزائر)، [1]nadda111@gmail.com

الملخص:

يرمي هذا البحث إلى تفحّص وتحليل وعرض أثر علمي تعليمي تربوي لعالم جزائري حديث هو موسى الأحمدي نويوات، وهذا الأثر هو كتابه "المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي" مسجّلا إسهام الجزائريين في علم عربي من أهم علوم العربيّة وهو علم العروض والقوافي. من خلال البحث في منهجيّته ومحتواه وأهدافه التّربويّة والعلميّة.

الكلمات المفتاحية: نويوات – عروض وقوافي – منهجية – المتوسّط الكافي – محتوى – تعليمية

Abstract:

The present research aims to scrutinize, analyze, and expose a didactic and scientific legacy, namely "Almutawassit Alkafi fi 3ilmai al3arudh wa al-kawafi", a book by the modern Algerian scientist Mussa al-Ahmadi Nwiwat.The book records the contribution of Algerians in the science of prosody and rhyming, one of the most important sciences of the Arabic language. The research sheds light on the methodology, content, and the scientific and didactic aims of the book.

Keywords:(Nwiwat – prosody and rhyming- al-Mutwassit al-Kafi-content-didactics)

المؤلف المرسل: نادية كتاف، NADDA111@GMAIL.COM

1.مقدمة:

تعلّق موضوعنا هذا بأثر علمي ذي حظوة معرفيّة بالغة في الثّقافة العربيّة القديمة المستمرة، وذلك لارتباطه بعلم العرب الأوّل وهو شعرها؛ ليس في محتواه وإنّما في هيكلة ومعماريّة نظمه وإخراجه وموسيقاه وإيقاعاته وهو علم العروض والقوافي، حين امتدت يد الجزائريين إليه من خلال كتاب المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي لموسى الأحمدي نويوات، فمن خلال مدارسة محتواه وطريقة عرضه أو منهجه التّعليمي وأهدافه المصرّح بها وحتى المستقاة من بين سطوره، والأهم من كل ذلك شخصيّة العالم النّقدية في المجال العلمي وتحقيقه لمبدأ التّجاوز والإضافة والتّجديد الذي هو مبدأ ومطلب وشرط استمرار كل علم.أثبت المؤلف من خلال مؤلّفه قيمة المساهمة الجزائرية في هذا العلم كما ساهم ابن آجروم ذات يوم مساهمة فعّالة في علم النّحو العربي، وأي مساهمة هي؟! وأين هو الأديب العالم نويوات وكتابه من كل ذلك، بالنّظر إلى البيئة الثّقافية والعلميّة الجزائريّة إبّان تأليف هذا الأثر النفيس؟

2.تمهيد:

من درر ما كُتب في علوم العربيّة لدى الجزائريين في العصر الحديث، وبالتّحديد في مرحلة متقدّمة من هذا العصر؛ كتاب "المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي" للأديب والعالم الجزائري"موسى الأحمدي نويوات"، وهو كتاب تعليمي ممنهج ذو قيمة علميّة والأهم منها تربوية، قد جمَعَ معارف وأخبار لا تخلو من فائدة معرفيّة مرفوقة بمتعة وإمتاع، يهتمّ هذا الأثر بالطّبع بعلم العروض والقافية، وهو موجّه للمعلّمين والمتعلّمين عى حدّ سواء؛ بل ولكلّ من تهفو نفسه للاغتراف من معين هذا العلم الثّر من شعراء وأدباء ونقاددونما استثناء، وإنما يعزّز رسميّة الاهتمام بهذا الأثر اقترانه برسميّة وطنيّة، فقد قُرّر تدريسه في المدارس الثّانويّة الجزائريّة سنة 1968م«ووضع كمقرّر أيضا، بمعاهد الأزهر الشّريف والمعاهد الدّينية في بلاد الشّام»[1].

بدءا من الصّفحات الأولى التي وهبها المؤلّف لبعض أصدقائه ومعارفه، نلمح فيه إكبارا للعمل، وإقرارا بالجهد المبذول فيه، حتى قال فيه "سعدي الجزائري" وهو صديق شباب المؤلّف وأقرب معارفه إليه :«...فإنّ الكتاب –وإن كان محاولة أولى للمؤلّف– لا ينبو عن ذهن التّلميذ، ولا يستغني عنه الأريب»[2]، وقال فيه "مبارك بن محمّد الميلي": «ذلكم الكتاب الجامع بين قواعد العلم وأفانين الأدب وطابع التّجديد في العرض، وهو جمع ينمّ عن جدّ في البحث وجودة في اختيار النّقل، وعناية بالقارئ، فهو كتاب تعليم وتأديب وتربية خلق»[3]، وقال فيه ابنه "سعد الدين الأحمدي" : «...فالمتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي بقدر ما هو كتاب علم لمن أراد الاستزادة منه واستقصاء خصائصه والإلمام بخفاياه ودقائقه، وكتاب أدب لما حوى من نصوص منتخبة من روائع الشّعر العربي وتراجم الشّعراء، وملح طريفة، لا تخلو من فائدة للمبتدئين وتذكرة للخرّيجين»[4].

ويطالعنا المؤلّف (موسى الأحمدي) في مقدّمة كتابه بتواضعه المعهود وأدبه الجم، رغم ما أوتي من حصافة رأي وغزارة علم، حيث يقول: «بعثني على كتابته

حب العمل وشغفي بالأوزان وإن كنت لست من رجال هذا الفن...»[5]، ويقول أيضا: «هذا وأرجو من القارئ الكريم أن يصلح ما يجد فيه من الخطأ، ويتلافى ما فيه من نقص، فإنّي ما تعلّمت هذا الفن على أستاذ، ولا قعدت له بين يدي معلّم، وإنّما ذلك نتيجة مطالعة، ورغبتي في الشّعر وشغفي به، ومن كان هذا حاله، لا يخلو من نقص يناله»[6]. وحين عاب عليه "مبارك بن محمّد الميلي" «إغفال الأدب الفاسي والجزائري والتّونسي في شواهد الكتاب...»[7]، ردّ عليه ردّا جميلا ليّنا مستدركا أخطاءه وهفواته، مستفيدا ممّا وجّه له من انتقاد بصدر رحب وخلق حسن «وآخذا بإرشاد الأستاذ الجليل، فها أنا قد حلّيت كتابي بقطع شعرية لطائفة من شعراء الجزائر وتونس ومرّاكش»[8]، ويضيف «وأرجو أن أكون بهذا الاستدراك قد جبرت العيب الذي لاحظه عليّ الأستاذ، أو أكون قد قلّلت من شيوعه على الأقل»[9].

3. تقديم الكتاب:الكتاب من القطع الكبير في طبعة دار الحكمة التي بين أيدينا اعتمادا، ويحتوي على 470 صفحة، وقد كُتب العنوان بخط سميك كبير يليه اسم المؤلف والطّبعة (طبعة رابعة منقّحة ومزيدة) ودار النّشر (دار الحكمة للطّباعة والنّشر)، وقد سُبقت هذه الطّبعة (1994م) بطبعات ثلاث: الأولى سنة1947م بقسنطينة، والثّانية في 1969م بدار العلم للملايين ببيروت، والثالثة بالمؤسّسة الوطنية للكتاب سنة 1981م[10]، أمّا الوجه الخلفي فقد احتوى ترجمة للمؤلّف ومسيرة حياته وعطاءاته مرفقة بصورة فوتوغرافية له.

يفتتح المؤلّف كتابه بإهداء قدّمه للعلامة "محمد البشير الإبراهيمي" واصفا إيّاه بالشّخصيّة الإنسانية العظيمة، ويختمه بمجموعة من الفهارس وعناوين بعض ما طبع له من كتب، ويعد هذا الأثر شاهدا على حياة موسى الأحمدي العلميّة موزّعا على عديد مراحل هذه الحياة الزاخرة، فقد تحدّث المؤلّف في حوار له عن مدة تأليفه للكتاب فقال: «...شغل تأليفه من الوقت كل أوقات فراغي من الجمع والعطلة الصّيفية مدّة عامين وما يقرب من تسعة أشهر لكتابته بالرّاقنة، وضبط أبياته، وكان العمل فيه مستمرا من صلاة الصّبح إلى ما بعد العشاء في تلك المدّة كلّها»[11]، وهو

وقت قياسي –في تقديرنا– إذا ما قيس بما احتواه من كثرة المعارف والأخبار مادام قد اقتصر تأليفه على العطل وأوقات الفراغ القليلة في عمر الأديب العالم نويوات .

4. مقاربات منهجية:

1.4تحديد المنهج:

حدّد المؤلّف المنهج الذي اتّبعه في مقدّمة كتابه كعادة التّآليف والمؤلفين، فقال: «وقد التزمت فيه الاستشهاد بأبيات جديدة لا تخلو من فائدة أو خبر فيه طرافة متجنّبا فيه ما استشهد به الخليل بن أحمد وأصحابه، اللّهمّ إلاّ إذا لم أجد من غيره شاهدا، وأتيت بعد أبيات الشّاهد بتنبيهات، وملاحظات ضرورية، ثمّ بتطبيقات، وأسئلة يطلب من المعلّم حلّها، ثمّ بتمرينات ليتدرّب عليها القارئ، ويتدرّج منها إلى تنمية الملكة الشّعرية»[12]. إذن هي جملة من الإجراءات المنهجية اعتمدها المؤلّف أثناء تأليفه ولا تنفك تتوزعّ على عدة خطوات إجرائية ومنهجية، لعل أهم ما مثل الجدّة والتّجاوز فيها وهي غاية كل علم مبتكر وفن مخترع ، حيث نجد: استشهادات شعرية منتقاة بعيدة عمّا استشهد به الخليل ومن جاراه إلاّ إذا ألحّت الحاجة واقتضت غير ذلك، وهذا ما يضفي على مؤلَّفه سمة التّجديد، ثمّ تنبيهات وملاحظات تلمس بعض جوانب الدّرس العروضي، فتثريه تارة ولا مناص منها تارة أخرى، ويختم بتطبيقات وتدريبات موجّهة للمعلّم والمتعلّم... منتهجا منهجا تقليديا بحت كشأن جلّ كتب العروض المدرسية[13]، حيث تكون موجّهة للمعلّمين والمتعلّمين.هذا المنهج البسيط من جهة، والمحكم من جهة ثانية، ذكره المؤلّف بإيجاز وشمول وزاوج فيه بين النّظري والتّطبيقي، نحاول من خلال قراءتنا هذه الاقتراب منه للإحاطة به وتفصيله قدر ما أمكن.

2.4 دراسة في المنهج:

انتهج المؤلّف تسلسلا منطقيا تعليميا أثناء تأليفه للكتاب، فأوّل ما بدأ به توضيح المفاهيم الأولى التي يرتكز عليها علم العروض: أ– الأحرف وفيها: 1–الأسباب بنوعيها الخفيفة والثّقيلة. 2 –الأوتاد بنوعيها المجموعة والمفروقة. 3 –الفواصل بنوعيها الصّغرى والكبرى.

ب- التّفاعيل «وكما تسمّى تفاعيل، تسمى أجزاء، وأركانا، وأوزانا، وأمثلة»[14]، وقسّمها مثل باقي الكتب العروضية إلى قسمين: من حيث عدد حروفها إلى خماسية وسباعية، ومن حيث أنّها أصول وفروع.

ج- الزّحاف بنوعيه المفرد والمركّب، والعلّة بنوعيها أيضا: الزّيادة والنّقص.

د- المعاقبة والمراقبة والمكانفة وما يجوز منها في البحور والتّفعيلات وما يمتنع.

«كلّ ذلك بشرح مبسّط مشفوع بالأمثلة والجداول والخلاصات»[15]*.

هـ- أسماء أجزاء البيت الشّعري «أسماء الأجزاء هي: الصّدر، العجز، والعروض، والحشو، والمصراع، والصّحيح، والسّليم، والموفور، والمعرّى، والفصل، والغاية»[16].

بعدها يأتي إلى ذكر مرحلة مهمّة وهي عملية التّقطيع، يقول:«والذي يُوزن ويدخل في التّقطيع من حروف الهجاء، كلّ ما نُطِق به وظهر على اللّسان، وأُدرك بحاسّة السّمع، ولم يُرسم كالتّنوين، وحرف المد، والمدغم، وكل منها يُعتبر بحرفين. والذي لا يُوزن ولا يُقطّع منها كلّ مالا يُنطق به وإن رُسم كألفات الوصل وألف الفرق التي بعد الواو، وواو عمرو»[17]، ويستغني عن استخدام مصطلح الكتابة العروضية، مع أنّه قد وُظّف في كثير من كتب العروضيين.

بعد توضيح هذه المفاهيم والمبادئ التي يرتكز عليها علم العروض، يشرع في ذكر البحور الشّعرية السّتة عشر (16)، يبدؤها بالطّويل ويختمها بالمتدارك «البحور الشّعرية ستّة عشر بحرا وهي: الطّويل، والمديد، والبسيط، والوافر، والكامل، والهزج، والرّجز، والرّمل، والسّريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث، والمتقارب، والمتدارك...»[18]

وقسّمها إلى ثلاثة أقسام:

1-«القسم الأوّل منها: متكرّر من التّفاعيل الخماسية، والسّباعية، وهي ثلاثة: الطّويل، والمديد، والبسيط. 2-القسم الثّاني: متكرّر من التّفاعيل السّباعية فقط: وذلك أحد عشر بحرا. وهي الوافر، والكامل، والهزج، والرّجز، والرّمل، والسّريع، والمنسرح، والخفيف، والمضارع، والمقتضب، والمجتث.3-القسم الثّالث: متكرّر من التّفاعيل الخماسية ليس غير وذلك بحران: المتقارب والمتدارك»[19].

ويقسّم البحور الشّعرية بهذا التّقسيم دون أن يتطرّق إلى ذكر الدّوائر العروضية الخمس، والبحور التي تتضمّنها كلّ دائرة من هذه الدوائر.

بالمقارنة نجد: القسم الأوّل: الطّويل والمديد والبسيط ينتمي إلى دائرة المختلف، والقسم الثّاني: البحران الأوّلان: الوافر والكامل من دائرة المؤتلف، والثّلاثة بحور الموالية: الهزج والرّجز والرّمل من دائرة المجتلب، والبحور الأخرى المتبقية من الدّائرة المشبّهة. والقسم الثّالث: وبحراه المتقارب والمتدارك من الدّائرة الأخيرة وهي المنفردة. وهو بهذا التّرتيب يراعي ترتيب الدّوائر العروضية من حيث الشّهرة وكثرة الاستعمال. (المختلف ثمّ المؤتلف ثمّ المجتلب ثمّ المشبّهة ثمّ المنفردة).

يلي هذا مجموعة من التّطبيقات على بعض أضرب البحور الشّعرية.. ثمّ «أسماء –أو ألقاب– الأبيات: التّام، الوافي، المصرّع، المقفّى، المدوّر، المجزوء، المشطور، المنهوك»[20]، مع شرحها وتعزيزها بمجموعة من الأمثلة (على البحور الشّعرية). ثم الحديث عن الضّرورات الشّعرية: تعريفها وأقسامها (حذف، تغيير، زيادة) مع الأمثلة.

وبذلك يكون أتى على ذكر ما يتعلّق بالعلم الأوّل وهو علم العروض الذي يختمه بمجموعة من الجداول لعلل الزّيادة والنّقصان. يقول المؤلف :«إليك جدولا للأبحر والأعاريض، والأضرب التي تكون فيها علل الزّيادة، وعلل النّقص، والجزء –الجائز لا الواجب– والشّطر، والنّهك»[21]*، ولكي لا يلتبس الأمر على المتلقي يوضّح «فالضلع الأوّل منه لنوع العلّة –أو لقب البيت– والثّاني لاسم البحر الذي تدخل عليه تلك العلّة، والثّالث لعدد صفحة البحر، والرّابع والخامس للعروض والضّرب اللّذين تكون فيهما تلك العلّة، والسّادس لعدد صفحة الشّاهد، والسّابع للشّطر الموجود فيه ذلك الشّاهد»[22]، ثم يضيف بغرض التّوضيح والتّقريب وضرب الأمثلة لغاية تعليمية: «فإذا أردت أن تعرف –مثلا– أين يكون القطع في الكامل –وهو علّة النّقص– فانظر صفحة (120) تجد فيها الكامل، ثمّ انظر صفحة (122) تجد فيها ضربه الثّاني الذي دخله القطع، ثمّ أنظر الشّطر من تلك الصّفحة تجد فيه ذلك الضّرب، وعلى هذا فقس»[23].

يلي علم العروض "علم القافية" «وقد جرى العلماء على تأخير البحث في علم القافية عن البحث في علم العروض، لأنّ القافية لا وجود لها إلاّ بعد أن يتحقّق في الكلام وزن عروضي، إذ هي نهاية بيت الشّعر، فإذا لم يكن القول الذي هي نهايته شعرا لم يكن لها وجود»[24].

وقد درسها المؤلف باستفاضة من حيث: 1- حروفها (الروي، الوصل، الخَروج، الرِّدف، التّأسيس، الدّخيل).2- حركاتها (المجرى، النّفاذ ، الحذو، الإشباع، الرّس، التّوجيه).

3-أنواعها (المطلقة بأنواعها والمقيّدة بأنواعها).4- ألقابها (المتكاوس، المتراكب، المتدارك، المتواتر، المترادِف).5- عيوبها (الإيطاء، التّضمين، الإقواء، الإسراف، الإكفاء، الإجازة، السّناد بأنواعه وما اختلف فيه علماء العروض: الخليل بن أحمد الفراهيدي، علي بن الحسن المعروف بكراع النّمل، الأخفش، وما اتّفقوا فيه).

وصاحَب كل هذا عدد من الجداول عن حروف القافية وأنواعها.ليختم الكتاب بمجموعة من الفهارس: فهرس لمواضيع الكتاب، فهرس لتراجم الشّعراء وقد تضمن (213 شاعرا)، فهرس الأعلام، وفهرس لمراجع الكتاب وقد تضمن (137 مرجعا).

يتبيّن من خلال ما سبق أنّ الكتاب ينقسم إلى قسمين: علم العروض وعلم القافية.

القسم الأوّل: علم العروض يتناول:

1-المبادئ الأساسية لهذا العلم (الأسباب، الأوتاد، التّفاعيل، الزّحافات، العلل، التّقطيع...).

2-البحور الشّعرية (أضربها، أعاريضها، ملاحظات مهمّة تخصّها (الشّاذ، المستعمل، المستدرك...)...).3-الضّرورات الشّعرية.

القسم الثّاني:علم القافية ويتناول: 1-حروفها، 2-حركاتها، 3-أنواعها، 4-ألقابها، 5-عيوبها...

3.4منهجه في تقديم البحور الشّعرية:

يلاحظ أن المنهج متّبع مع جميع البحور، ومثال ذلك "بحر الطّويل" وهو أوّل بحر يبدأ به؛ والبداية زاخرة بمعلومات تخصّ البحر:1- أجزاء البحر «لبحر الطّويل ثمانية أجزاء: أربعة خماسية وأربعة سباعية...»[25]2- بحر الطويل بتفعيلاته التّامة:

«فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن»[26]

3- أعاريض وأضرب هذا البحر «وله عروض واحدة مقبوضة وجوبا (مفاعلن)، وثلاثة أضرب...»[27]4- شواهد شعرية على كلّ ضرب، مع تقطيع واحد منها حُدّد من قبل (وضع بين قوسين) وحَدّد منهجه هذا بقوله (تنبيه): «جرت عادة العروضيين -كما قال الدّماميني- أن يأتوا للأعاريض والضّروب بشواهد تختصّ بها ولا تكون في بقيّة تلك الشّواهد أجزاء مزاحفة، وجريا على طريقتهم فقد اخترت فيما أستشهد به، البيت السّالم من الزّحاف ليسهل تقطيعه، جعلته بين قوسين ليمتاز عن بقيّة الأبيات المسوق في ضمنها وليُعلم أنّه المقصود بالتّقطيع دون غيره»[28].

1- تنبيه: وهو بمثابة ملحوظة يستعرض فيها -غالبا- الزّحافات والعلل التي تدخل على البحر، وما هو حسن أو قبيح وواجب أو جائز... مثل: «يجوز قبض (فَعُولُنْ) في الطّويل أين ما كان فيصير (فَعُولُ) بحذف النّون، ويجوز قبض (مَفَاعِيلُنْ) التي هي غير العروض والضّرب، وكفّه فيصير بالقبض (مَفَاعِلُنْ) بغير ياء، وبالكف (مفَاعِيْلُ) بحذف النّون، وقبض (فَعُولُنْ) حسن لاعتماده على وتدين قبلي وبعدي، وقبض (مفَاعِيلُنْ) في الطّويل قبيح وكفّه لا يكاد يوجد، أمّا قبض العروض فواجب»[29].

2- تطبيق: وفيه يستعرض مجموعة من الأبيات الشّعرية، فيشير إلى ضرب كلّ بيت منها، تاركا عملية التّقطيع للمتلقي أو المتعلّم، فهو بمثابة تقويم لمدى صحّة الإجابة أو خطئها.

3- تدريب: وفيه مجموعة من الأبيات الشّعرية أيضا، يُطلب من المتلقي المتعلّم تحديد أضربها...الخ، معتمدا على نفسه في الحلّ والتّقويم، وأحيانا يستغني عن لفظ "تدريب" ويستخدم بدله عبارة "أسئلة يطلب حلّها".

4- تتمّة: وهي في الغالب أعاريض وأضرب شاذّة أثبتها بعضهم فقط، كقوله «استدرك بعضهم للبسيط عروضا مجزوءة حذّاء، مخبونة، لها ضربان: الأوّل مثلها، والثّاني، مقطوع مخبون»[30]، ومثال ذلك أيضًا «أثبت بعضهم لهذا البحر (ويقصد الرّمل) عروضا ثالثة مجزوءة محذوفة لها ضرب محذوف مثلها»[31]، ويسوق لذلك أمثلة.

4.4 ملاحظات منهجية:

وهي مجموعة من الملاحظات المنهجية مستقاة من المتن والهامش على وجه الخصوص، منها ما يخص النّص الشّعري ومنها ما يخص الشّاعر ومنها ما يخص المؤلِّف في حدّ ذاته:

1- جرأته في إبداء ملاحظاته ورأيه الشّخصي-إذا اقتضى الأمر ذلك- مع التّعليل والتّمثيل (شواهد شعرية) مصحّحا ما جاء به غيره مثل «قلت صوابه من ضرب الكامل الثّامن: لأنّ فيه جُزءًا على وزن (مُتَفَاعِلُنْ) وهو (مُتَفَكْكِرِيْ) وزنه (مُتَفَاعِلُنْ) ومن هذا قول أحمد بن محمّد الواسطي...»[32]، «قلت وأنا أرى حملها على مجزوء الرّجز المقطوع المخبون العروض والضّرب أوجه وذلك لوجوه...»[33]، «وأنا أقول -من عندي- (...) ودليلي على ذلك الاستعمال»[34]. وإذا اقتضى الأمر يستشهد بآراء غيره معزّزا صواب رأيه أو وجهة نظره، وقد ينقلها نقلا حرفيا مثل «ما نصّه بالحرف:...»[35]، وإذا أكمل النّقل يكتب «انتهى المراد منه.»[36]، والأدهى من ذلك جرأته حتى على مخالفة الخليل بن أحمد الفراهيدي كما سنرى فيما يأتي من أسطر أثناء الحديث عن تعليمية الاستشهاد بأقوال علماء العروض العربي. كما يحاول إشراك القارئ في رأيه كقوله: «ألا ترى أنّ الجزُء في العروض لمّا سلم من الزّحاف والعلّة -أردت الخبن والقطع- رجع إلى أصله "مُسْتَفْعِلُنْ" و"مَفْعُولَاتُ" لا تؤول إلى "مُسْتَفْعِلُنْ" في أيّ حال كانت»[37].

2- يشير إلى ما شذّ أو خرج عمّا هو مشهور ومؤصّل عند جمهور العروضيين بقوله: خرج، شذوذ، شاذ... مثل: «ممّا خرج عن أضرب الخفيف المتقدّمة...»[38]،

«فهذا وما قبله كلّه شاذ ومخالف لما أصّلوه، واتّفقوا عليه من الأعاريض والأضرب للرّجز»[39].

3- مخاطبة القارئ أو المتلقي محيلا أو منبّها إيّاه لأمر سبق شرحه أو ذكره (مع تحديد الصّفحة التي ورد فيها) مثل: «وأنت أيّها القارئ الكريم قد مرّ لك...»[40]، «وقد تقدّم لك في ص...»[41]، «مرّ لك بصفحة...»[42]، «أنظر ترجمة النّميري في ص...»[43]، «راجع...»[44]، وإذا تكرّر ذكر البيت يشير إلى موضعه أيضا.

4- يستشهد بأقوال علماء العروض مثل «قال الدّمنهوري: "وحكى بعضهم استعمال الضّرب المقطوع... "قال ابن برّي وغيره "للعرب تصرّف واتّساع في الرّجز لكثرته في كلامهم..."»[45]، كما يتتبّع آراءهم: «ذكر الدّماميني في شرحه على الخزرجية عند كلامه على التغيّرات التي تلحق "مفاعلَتن" ما نصّه:(...)، وكذا عمل الصبّان في شرحه على منظومته في العروض، والدّمنهوري في شرحه على الكافي، ومحمّد بن شنب في كتابه "تحفة الأدب" وابن رشيق في "العمدة" عندما تكلّم هؤلاء على الزّحافات التي تدخل الوافر، والتغيّرات التي تلحق "مفاعلَتن"...»[46].

ويحدث أن يخالف الخليل في بعض المسائل مثل: «لم يذكر بعض العروضيين الضّرب الثّاني المقطوع للعروض الأوّل لأنّ الخليل لم يذكره. وإنّما ذكرته أنا تبعا لبعضهم، ولأنّه كما قال ابن برّي «ممّا استحسنه المحدثون...»[47].

5- لا يألُ جهدا في استقصاء الحقائق وتتبعها في أشعار العرب ومتون الكتب، نستدل على ذلك من قوله مثلا: «...ولكنّك إذا تتبّعت أشعار العرب فلا تجد هذه العروض مطوية -اللّهم إلاّ نادرا- ولم أعثر لها على شاهد في المراجع التي طالعتها...»[48]، وهذا يدلّ على جلده وصبره في البحث والتّحصيل.

6- ترجمته للشّاعر وبعض ما عرف أو اشتهر به من شعر «وهو القائل...»[49]، «ومن شعره...»[50]، وسبب نظمه البيت أو الأبيات مع الحكم على شعره أو أدبه - أحيانا- «وله شعر جيّد ومن قصيدته في النّفس...»[51] (ابن سناء)، وقد يكتفي بذكر سنة الوفاة فقط، مثل «إبراهيم بن هلال الصّابي (المتوفى سنة 384هـ)»[52]، أو يختصر التّرجمة في سطر أو سطرين كقوله عن عبد الرّحمن المعنى «وهو شاعر

إسلامي، ويلقّب بمرقس وهو أحد بني معن بن عتود»[53]، أو يذكر سبب تسمية الشّاعر بهذا الاسم مثل: المرقّش[54]، مسكين[55]... وما روي عنه من أخبار أو اشتهر به من قصص مثل: عروة صاحب عفراء[56] وكثيّر صاحب عزّة[57]... وقليلا ما يُغفِل اسم الشّاعر ويكتفي بقوله: «قال بعضهم...»[58] لكونه مجهولا أو لسبب آخر...وهي عادة التأليف العربي القديم وما سار سيره من تآليف.

وإذا اختُلف في نسبة البيت إلى صاحبه يشير إلى ذلك، وينسب الشّعر إلى قائله[59]، أو إلى المصدر الذي اقتبس منه «أخذه من قول بن مجبر...»[60]، «البيت أخذه من قول أبي الدّرداء...»[61].

7- شواهد شعرية من الشّعر القديم والحديث معا (فيستشهد مثلا بمحمدّ العيد آل خليفة وأبي هلال العسكري[62]، رغم الفارق الزّمني والفنّي بينهما) وهذه الشّواهد منتقاة «جديدة لا تخلو من فائدة أو خبر فيه طرافة»[63]، وممّا يحُمد له استشهاده بنصوص شعرية لشعراء من المشرق العربي والمغرب العربي سواء بسواء؛ منهم الشّعراء الجزائريون مثل: ابن باديس، محمّد العيد آل خليفة، مفدي زكريا، محمد الشبّوكي، أحمد سحنون... وَوَلَدَيه: المختار وسعد الدّين، دون أن يُغفل شعره «كقول المؤلّف...»[64]، «خمّسها المؤلّف...»[65].

8- شرحه بعض الألفاظ شرحا لغويّا، وقد يتعدّى إلى معناها البلاغي (مثل الكناية[66]...) سواء كانت هذه الألفاظ لأماكن أم أشخاص أم أيام[67]...الخ؛ مستعينا مرّات عديدة بأمّهات الكتب كالأغاني «قال صاحب الأغاني...»[68].بل ويأتي بنصوص شعرية تشترك في اللّفظة ذاتها مثل: سرّ من رأى[69]، يبرين[70]... ممّا يؤدي به في الغالب إلى استطرادات طويلة[71].

كما يَرُد معنى البيت الشّعري إلى مثل ولو كان عامي مثل: «من لم يرضى بحكم موسى، رضي بكم فرعون»، أو إلى حديث نبوي شريف مثل: «يُنظر معنى هذين البيتين إلى قوله صلى اللّه عليه وسلم: "من أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه، معه قوت يومه، فكأنّما سيقت له الدنيا بحذافيرها"»، أو إلى أبيات شعرية أخرى[72].

9- استخراجه الأمثال من الأبيات الشّعرية، وبعض ما نظم عليها من شعر مثل: المرء بأصغريه[73]، سبق السّيف العدل[74]... وقد يسهب في الحديث عن قائلها وسبب وضعها مثل: إنّ العصا ضربت لذي حلم[75].

10- الاهتمام بالألغاز وبسط حلّها: عثمان وسهل وسعيد (الأسماء)، الدّهر، الوردة...[76]، وقد تنحومنحى نحويا أو عروضيا.

مثل: «إنّ هِندُ المليحـةُ الحَسْنَاءَ وأيَّ مَنْ أضمرَتْ لخِلٍّ وفـــاءَ»[77](عن اسم إنّ وصفته الأولى)

«رُبَّمَا عَالجَ القَـوَافِي رِجَالٌ تلتَـــــوِي تارَةً لهُمْ وَتَلِيـــنُ

طاوَعَتْهُمْ عَينٌ وَعَيْنٌ وَعَيْـنٌ وَعَصَتْهُمْ نُـونٌ وَنُـونٌ وَنُـونٌ»[78](عن القوافي)

11- توجيهات نحوية أو صرفية متعلّقة ببعض الشّواهد الشّعرية مثل: لبّيك[79]، اللّفيف المفروق[80]، أنْ[81]، يعتمد تارة على كتب معيّنة ككتاب ابن عقيل وكتاب الألف باء... وتارة يسوقها دون أن يذكر لها مصدرا. وإذا كان البيت الشّعري شاهد من شواهد النّحو المشهورة يشير إلى ذلك موضّحا، كقوله عن بيت ابن قريع السّعدي:

لا تهينَ الفقيرَ علّك أن تـرْ كـعَ يومًا والدّهرُ قد رفعهُ

«البيت شاهد من شواهد النّحو مشهور، استشهدوا به على أنّ نون التّوكيد الخفيفة تحذف لالتقاء السّاكنين...»[82]

12- شرح بعض القضايا البلاغية مصحوب بشواهد شعرية مثل: الجناس «الجناس المقلوب المجنّح، وهو أن تكون الكلمة في أوّل البيت مماثلة للكلمة التي في آخره، إذا قرئت مقلوبة، فكأنّ الكلمتين جناحان للبيت»[83]، والمدح في معرض الذم «أن ينفي المتكلّم صفة ذمّ، ثمّ يستثني صفة مدح،كما نفى الشّاعر الذّمّ بقوله (ما فيه من عيب)، ثمّ استثنى المدح في قوله: (سوى فتور عينيه فقط)»[84]...الخ

13- يشير إلى خروج الشّاعر عن القاعدة العروضية المشهورة، وللإفادة أكثر يشير إلى ما يخالف جمهور العروضيين[85]،كما لا يغفل عمّا اعترى البيت الشّعري من عيوب القافية[86].

14- ملاحظات على بعض البحور والأغراض التي تستعمل فيها مثل: «الطّويل أكثر بحور الشّعر استعمالا، ولاسيّما في شعر المتقدّمين، ويكثر استعمال الضّرب الثّاني فالأوّل والثّالث، ويعذب الأوّل»[87]، وقوله: «الرّملُ: بحر رقّة وجمال، يقلّ في شعر الجاهليين، ولرقّته وعذوبته أخرج منه الأندلسيون ضروبا من موشحاتهم»[88]...

15- الكتاب لا يخلو من الأخبار والمعارف القيّمة مثل: «قال بن السكّيت (المتوفى سنة 243هـ): العرب إذا عدّت للسّحاب مائة برقة:لم تشك في أنّها ماطرة قد سقت فتتبعها على الثّقة بالمطر...»[89]، وكقوله: «قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على أنّ فرسان العرب ثلاثة: ففارسُ تميمٍ عيينةُ بن الحرث بن شهاب، أحد بني ثعلبة صيّاد الفرسان، وفارس ربيعةَ بَسطام بن قيس، وفارسُ قيسٍ عامر بن الطفيل. وأشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة بن عوف...»[90]، إضافة إلى الطّرائف التي لا تخلو من ظرف وفائدة: «وحكي: أنّ بعض السوّال وقف على باب نحوي فقرعه فقال النّحوي: من بالباب؟ فقال سائل، فقال: انصرف فقال: اسمي أحمدُ، قال النّحوي لغلامه: أعطِ سيبويه كسرة»[91]...

16- توظيف ثقافته الشّعبية المستمدّة من بيئته لإفادة القارئ مثل: «والسّعدان: نبات كثير الحسك، من أحسن المرعى وأجوده تأكله الإبل فتسمن عليه ويغذوها غذاءً لا يوجد في غيره، ولقد رأيته في "مسقط رأسي" الحضنة منفرشا على الأرض منبسطا يمدّ فروعا في طول ثلاثة أذرع إذا كانت السّنة خصبة، وعندما تيبس شجرته يتساقط منه حب صغير لونه على لون الأرض التي ينبت فيها غالبا، وفي حبّه شوكات صغيرات مرتكزة فيه كالسّهام من ثلاث إلى خمس تغلظ عند مبداها، وتدق في منتهاها، يعرف عند العامّة بـ "ناب الجرو" لأنّه شبيه به تمام الشّبه كما تعرفه أيضا باسم السّعدان»[92].

كما يربط مضمون البيت الشّعري بالواقع المعيش، كقوله معلّقا على قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وإذا ما عثَرَت في مَرطِهـــــا نهضَتْ وقالت يا عُمـــــرَ

«ما زالت هذه العادة جارية في الحضنة (مسقط رأسه) إلى الآن في الشّباب ممّن ابتلي بالغرام، ورماه الوجد بسهام، فإنّه إذا ما عثر، أو جرح أو ذُعر، ذكر اسم من يحبه، كأنّما في ذلك طبّه»[93].

17- الاعتماد على منظومات الشّعر التّعليمية لترغيب القارئ وتسهيل الحفظ والتّلقي مثل: «...وفي الخزرجية:

وقافيةُ البيتِ الأخيرةُ بلْ من ألْ مُحرَّكِ قبلَ السّاكنينِ إلى انتهَى

وقال الصبّان محمّد بن علي (المتوفّى سنة1206هـ):

وقافيةٌ ممّا تحرّكَ قبلَ سَا كنينِ إلى خَتمٍ عَلى مَذهبٍ عَــلاَ»[94]

وهي إحاطة وشمولية من المؤلف للمنثور و المنظوم العلميين التعليميين، ولا سيما أن المؤلف قد غرف من معين هذه المنظومات العلمية في شتى علوم العربية النّحوية والصّرفية والبلاغيّة وحتى العروضية، وقبل كل ذلك منظومات الفقه والعقائد.

18- إحالة القارئ إلى مراجع كثيرة يرجع إليها إن شاء لتوسيع مداركه أكثر أو للتأكّد من المعلومات مثل: «ابن ميّادة واسمه ابن الرماح بن أبرد، من الشّعراء المكثرين، وميّادة أمّه، وهي أمّ ولدٍ بربرية، وقيل فارسية، أدرك الدّولتين مات في خلافة المنصور سنة149هـ»، ويحيل القارئ إلى مراجع عديدة في الهامش «الأعلام ج3 ص59، الشّعراء والشّعراء ج2 ص839، سمط اللآلي ج1 ص306، الأغاني ج2 ص168، معجم الأدباء ج11 ص143، طبقات الشّعراء ص106، شرح شواهد المغني للسيوطي ص60، تاريخ الأدب العربي ج1 ص242، الكامل للمبرّد ج1 ص45، نوادر المخطوطات ص308»[95].

19- المصادر التي اعتمد عليها-منها القديمة والحديثة- متنوّعة وكثيرة، تتراوح ما بين مصادر أدبية:الأدب،اللّغة، العروض، النّقد.ومصادر أخرى غير أدبية:التّاريخ، التّراجم، السّير.

وقد حلّى مؤلَّفه بمواضيع مختلفة كثيرا ما تخرج عن موضوع العروض من نقد ونحو وبلاغة وتاريخ وفقه وطرف وملح وألغاز وأمثال... لذلك لا يسعنا في ختام هذه القراءة إلاّ أن نتّفق مع الدّكتور "عبد الجليل مرتاض" الذي قال: «إنّه لينسيك بأنّك أمام كتاب صنع لغير الغرض الذي وضع من أجله...»[96]

5.خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أن هذا الكتاب على قدر ما حقّقه من غاية تعليمية فقد حقّق بذلك الضّبط والدّقة المعرفيّة والعلمية ولم يغفل التّجديد العلمي والتّجاوز المعرفي الذي يرومه كل بحث علمي، ليس على مستوى الشّواهد والأمثلة والتّطبيقات والتّدريبات فحسب، وإنّما على مستوى الشّخصية النّقدية العلمية والمعرفية للعالم موسى الأحمدي وما تتطلّبه من تمكن من العلم ودقائقه وتفرعاته وتشعباته فهما وإحاطة مما يؤهله للمقارنة بين الآراء وتوظيفه وحتى نقده للأقوال وهو ما لم نعدمه في هذا الأثر العلمي الجزائري الحديث. يضاف إلى ذلك بساطة منهجية طريقة العرض والتّقديم وطرافتها المستمدة من شخصية العالم المعلّم نويوات.

الهوامش:

[1]ينظر نجيب بن خيرة: الأديب موسى الأحمدي نويوات حياته وآثاره،دار هومة، الجزائر، 2002، ط1، ص 68.

[2]موسى الأحمدي نويوات: المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي، دار الحكمة للطباعة والنّشر، 1994، ط4، ص16.

[3]المصدر نفسه: ص09.

[4] المصدر نفسه: ص19.

[5]المصدر نفسه: ص20.

[6]المصدر نفسه: ص20.

[7]المصدر نفسه: ص11.

[8]المصدر نفسه: ص11.

[9]المصدر نفسه: ص11.

[10]ينظر نجيب بن خيرة: الأديب موسى الأحمدي نويوات، ص68.

[11] حوار أحمد بن السايح، جريدة المساء، 8 ديسمبر 1986 م، نقلا عن المرجع نفسه: ص63.

[12]موسى الأحمدي نويوات: المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي: ص20.

[13]محمّد بو زواوي:تاريخ العروض العربيمن التأسيس إلى الاستدراك،دار هومة، الجزائر،2002،ط د، ص05.

[14] موسى الأحمدي نويوات: المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي، ص21.

[15]محمّد بو زواوي: تاريخ العروض العربي، ص176.

* ينظر موسى الأحمدي نويوات: المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي، ص21 ، 47، 50.

[16]المصدر نفسه: ص57.

[17]المصدر نفسه: ص59.

[18]المصدر نفسه: ص68.

[19]المصدر نفسه: ص68.

[20]المصدر نفسه: ص335.

[21]المصدر نفسه: ص345.

* جعل المؤلّف كل من الجزء والشطر والنّهك من أنواع العلل!!

[22]المصدر نفسه: ص346.

[23]المصدر نفسه: ص347.

[24]أمين علي السيد: في علمي العروض والقافية، دار المعارف، 1990، ط4، ص8.

[25]موسى الأحمدي نويوات: المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي، ص69.

[26] المصدر نفسه: ص69.

[27]المصدر نفسه: ص69.

[28]المصدر نفسه: ص72.

[29]المصدر نفسه: ص72.

[30] المصدر نفسه: ص105.

[31]المصدر نفسه: ص215.

[32]المصدر نفسه: ص148.

[33]المصدر نفسه: ص191.

[34]المصدر نفسه: ص181.

[35]المصدر نفسه: ص194.

[36]المصدر نفسه: ص196.

[37]المصدر نفسه: ص201،200.

[38]المصدر نفسه: ص277.

[39]المصدر نفسه: ص202.

[40]المصدر نفسه: ص257.

[41]المصدر نفسه: ص281.

[42]المصدر نفسه: ص150.

[43]المصدر نفسه: ص379.

[44]المصدر نفسه: ص370.

[45]المصدر نفسه: ص191.

[46]المصدر نفسه: ص162.

[47]المصدر نفسه: ص257.

[48]المصدر نفسه: ص246.

[49]المصدر نفسه: ص224.

[50]المصدر نفسه: ص228.

[51]المصدر نفسه: ص177،176.

[52]المصدر نفسه: ص107ـ 119.

[53]المصدر نفسه: ص240.

[54] ينظر المصدر نفسه: ص225.

[55] ينظر المصدر نفسه: ص211.

[56] ينظر المصدر نفسه: ص170.
[57] ينظر المصدر نفسه: ص171.
[58]المصدر نفسه: ص173.
[59] ينظر المصدر نفسه: ص252.
[60]المصدر نفسه: ص134.
[61]المصدر نفسه: ص135.
[62]ينظر المصدر نفسه: ص76.
[63] المصدر نفسه: ص20.
[64]المصدر نفسه: ص84.
[65]المصدر نفسه: ص217.
[66] ينظر المصدر نفسه: ص71.
[67] ينظر المصدر نفسه: ص180.
[68]المصدر نفسه: ص425.
[69] ينظر المصدر نفسه: ص278.
[70] ينظر المصدر نفسه: ص285.
[71]ينظر المصدر نفسه: ص111.
[72]ينظر الهامش 1 و2 ص160.
[73] ينظر المصدر نفسه: ص103.
[74] ينظر المصدر نفسه: ص215.
[75]ينظر المصدر نفسه: ص159.
[76]ينظر المصدر نفسه: ص118ـ 134.
[77]المصدر نفسه: ص170.
[78]المصدر نفسه: ص356.
[79] ينظر المصدر نفسه: ص311.
[80] ينظر المصدر نفسه: ص169.
[81]ينظر المصدر نفسه: ص1 14.
[82]المصدر نفسه: ص266.

[83] المصدر نفسه: ص146.

[84]المصدر نفسه: ص185.

[85]ينظر المصدر نفسه: ص402.

[86] ينظر المصدر نفسه: ص 160-186.

[87]المصدر نفسه: ص312.

[88]المصدر نفسه: ص326.

[89]المصدر نفسه: ص81.

[90]المصدر نفسه: ص129.

[91]المصدر نفسه: ص346.

[92]المصدر نفسه: ص261.

[93]المصدر نفسه: ص374.

[94]المصدر نفسه: ص353.

[95]المصدر نفسه: ص365.

[96]عبد الجليل مرتاض: المتوسّط الكافي دراسة في المتن والعنوان، مجموعة محاضرات الملتقى الوطني الأول، بلدية برج بوعريريج، ص76.